الآفة الحادية والثلاثون
الكبت

والآفة الحادية والثلاثون التى كانت وراء شيوع كثير من الفتن والمنكرات، وصارت حجر عثرة فى طريق النبوغ والنهوض والتقدم، إنما هى: « الكبت » .

وحتى يتخلص منها مَنْ شاعت وانتشرت بينهم، ويتوقاها مَنْ سلَّمهم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ منها، فإنه لابدَّ من القيام بطائفة من الأعباء والمسؤوليات وفى مقدمتها: الوقوف على أبعاد ومعالم هذه الآفة، وفى هذه السطور بيانٌ لهذه الأبعاد، وتلك المعالم على هذا النحو :

أولا : تعريف الكبت لغةً واصطلاحًا :

لغةً : يأتى الكبت فى اللغة على عدَّة معانٍ، منها :

١ ـ الصرع والهزم، تقول: كبت فلان فلانًا : صَرَعَه وهزَمَه.

٢ ـ الكسر، والذل، تقول: صرع المسلمون عدوَّهم: كسروه وأذلُّوه.

٣ ـ الصرف ، والردُّ بغيظ وخزى، تقول: كبت فلان فلانًا: صرفه، وردَّهُ بغيظ وخزى، وكبت الله العدوَّ كبتًا: غاظه، وأذله، وأخزاه، ومنه قوله تعالى : ﴿**لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ** (١٢٧)﴾ [آل عمران] .

٤ ـ الحبس، تقول: كَبَتَ فلانٌ غيظه أو شهوته: حبسه.

٥ ـ الامتلاء غيظًا أو غما ، تقول : اكتبتَ فلانٌ : امتلأ غيظًا أو غما ، يقول الفيروزآبادى: « كَبَتَهُ ، يكبتُهُ: صَرَعَهُ، وأخزاه، وصَرَفه، وكَسَرَهُ، وردَّ العدوَّ بغيظه، وأذلَّه، والمكتبتُ : الممتلئ غما »(١) ، وقيل: التاء بدل من الدال، كأنَّ الأصل، كبده، أى فعل به ما يؤذى كبده(٢) .

---

(١) انظر : القاموس المحيط ١ / ٣٣٦ .

(٢) انظر : القاموس المحيط ١ / ٣٣٦ ، وعمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبى ٣ / ٤٢٧ ـ ٤٢٨ ، والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/٤، والمعجم الوسيط ٢/ ٧٧٢، والصحاح فى اللغة والعلوم للمرعشليين ص ٩٧٥ .

ولا تعارض بين هذه المعانى جميعًا، لأن بعضها يعبِّرُ عن جوهر الكبت إجمالا، وهو: فعل كل ما يؤذى، وبعضها يعبر عن جوهر الكبت تفصيلا، وهو الصرع، والهزم، أو الكسر، والذل، أو الصرف والرد بغيظ وخزى، أو الحبس للشىء، أو الامتلاء غيظًا أو غمًا.

اصطلاحًا : أما فى الاصطلاح فقد عرَّفه الفلاسفة بأنه عملية نفسية لا شعورية تحول دون خروج الأفكار والرغبات المؤلمة أو المحرَّمة إلى نطاق الشعور رغم بقائها حيَّة فعالة فى اللاشعور [١] .

وتصورى : أن منع خروج الأفكار السيئة، والرغبات المحرَّمة ليست كَبْتًا، وإنما هو نوع من قوة الإرادة، وصدق العزيمة، وعلوِّ الهمة يمنع هذه من الخروج لما فيها من أذىً للنفس وللغير، مع إبدالها بالأفكار السليمة، والرغبات النافعة للنفس وللغير.

وانطلاقًا من ذلك فإن التعريف المناسب للكبت : أنه اسم لمنع أو حبس الأفكار السليمة، والرغبات النافعة، والسلوكيات المستقيمة من الخروج إلى الواقع بصورة تملأ النفس حزنًا وكمدًا، أو غيظًا وغمًا.

ثانيًا : أهم المظاهر الدالة على الكبت مع بيان موقف الإسلام منه :

وهناك مظاهر كثيرة دالة على الكبت، نذكر منها :

١ ـ إلصاق التهم بأصحاب الأفكار النيرة، والسُّلوكيات المستقيمة، والعمل على تشويه صورتهم، وتدنيس سمعتهم.

٢ ـ ملاحقة ومحاصرة أصحاب الأفكار السليمة، والسلوكيات الحميدة، بل إيقاع العقوبات: البدنية، والمالية، والأدبية، ونحوها بهم.

٣ ـ وصف أفكار هذا الصنف من الناس بأنها رجعية،وسلوكياتهم بأنها متأخرة ومنحطة، وغير ملائمة لأفكار العصر وسلوكياته.

٤ ـ فرض الأفكار الهدامة، والسلوكيات المنحرفة على الناس، وهلم جرا.

والإسلام يحظر كبت الآخرين بالمعنى الذى مضى آنفًا لما فيه من حرمان الأمة من إسهامات أصحاب الأفكار النافعة، والسلوكيات السديدة، ويتجلى هذا الحظر فى هذه الصور :

---

(١) انظر : الصحاح فى اللغة والعلوم ص ٩٧٦ .

١ ـ الوعيد بالعذاب الشديد يوم القيامة لكل من يحارب الدعاة إلى الله ويعمل على كبتهم أو تكميم أفواههم، والحيلولة بينهم وبين إبلاغ كلمة الله إلى عباد الله، يقول تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴿٢٢﴾﴾ [آل عمران] .

يقول الألوسى ـ رحمه الله : « أى أولئك المتصفون بتلك الصفات الشنيعة الذين بطلت أعمالهم، وسقطت عن حيِّز الاعتبار، وخَلَتْ عن الثمرة فى الدنيا، حيث لم تحقن دماؤهم وأموالهم، ولم يستحقوا مدحًا، وثناءً، وفى الآخرة حيث لم تدفع عنهم العذاب ولم ينالوا بسببها الثواب. . . والمراد من انتفاء الناصرين: انتفاء ما يترتب على النصر من المنافع والفوائد، وإذا انتفت مِنْ جمع ، فانتفاؤها من واحد أولى، ثم إن هذا الحكم وإن كان عامًّا لسائر الكفار كما يؤذن به قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [آل عمران : ١٩٢] إلا أنه له هنا موقعًا، حيث إن هؤلاء الكفرة وصفوا بأنهم يقتلون الذين يأمرون بالقسط، وهم ناصرو الحق، ولا يوجد فيهم ناصر يحول بينهم وبين قتل أولئك الكرام، فقوبلوا لذلك بعذاب لا ناصر لهم منه، ولا معين لهم فيه، ومن الناس مَنْ زعم: أن فى الآية مقابلة ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء: الكفر بالعذاب، وقتل الأنبياء بحبط الأعمال، وقتل الآمرين بانتفاء الناصر، وهو كما ترى » (١) .

وعن أبى عبيدة بن الجراح قال : قلتُ : يا رسول الله، أىُّ الناس أشد عذابًا يوم القيامة ؟ قال : « رجل قتل نبيًا، أو رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر» ثم قرأ الآية، ثم قال ﷺ : « يا أبا عبيدة، قتلتْ بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًا أول النهار فى ساعة واحدة، فقام مائة رجل وسبعون رجلا من عُبَّاد بنى إسرائيل، فأمروا مَنْ قتلهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعًا من آخر النهار من ذلك اليوم،فهم الذين ذكر الله تعالى » (٢) .

٢ ـ الدعوة إلى رفض هذا الكبت بطريق أو بأخرى، وإلا كان العقاب الشديد من الله لمن رضوا بذاك ممثلا هذا العقاب فى اللعن والطرد من رحمة الله مع التباغض والفرقة .

---

(١)انظر : روح المعانى ٣ / ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٢)الحديث أورده ابن جرير الطبرى فى : جامع البيان فى تفسير القرآن ٣ / ١٤٤ ـ ١٤٥، وعنه وعن ابن أبى حاتم نقل السيوطى فى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢/ ١٦٨ ـ ١٦٩ من حديث أبى عبيدة بن الجراح مرفوعًا بهذا اللفظ .

عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « إن مَنْ كان قبلكم من بنى إسرائيل إذا عمل فيهم العامل الخطيئة فنهاه الناهى تعذيرًا، فإذا كان من الغد جالسه، وواكله، وشاربه، كأنه لم يره على خطيئة بالأمس، فلما رأى الله تعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض، على لسان داودُ وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، والذى نفسى بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، ولتأخذنَّ على أيدى المسىء، ولتأطرنَّه على الحق أطرًا[١] ، أو ليضرِبَنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ويلعنكم كما لعنهم »[٢] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ أنه قال: « إذا رأيتَ أمتى لا يقولون للظالم منهم : أنت ظالم، فقد تودع[٣] منهم »[٤] .

٣ ـ سقوط منزلة الأمة عندما ترضى بالكبت إلى حدِّ تسليط غيرها من الأمم عليها، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لما رجعتْ إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر ، قال : « ألا تحدثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ » قال فتيةٌ منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس مرَّت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها

---

(١) لتأطرنَّه على الحقِّ : يعنى لتعطفنَّه، ولتحملنَّه على الحق حملا، تقول: أطر الشىء يأطره: عطفه، وثناه، انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر ١ / ٣٤ .

(٢) الحديث أورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد: كتاب الفتن: باب وجوب إنكار المنكر ٧/ ٢٩٦ من حديث أبى موسى الأشعرى مرفوعًا بهذا اللفظ، وعزاه إلى الطبرانى قائلا : « رواه الطبرانى، ورجاله رجال الصحيح ».

(٣) تُودِّع منهم ـ بضم التاء والواو ـ : مبنى للمجهول من التوديع، والمعنى استُريح منهم، وخُذِلوا، وخلِّى بينهم، وبين ما كانوا يرتكبون من المعاصى، وقيل المعنى: أُسلِموا إلى ما استحقوه من النكير عليهم، وتُركوا وما استحبوه من المعاصى حتى يكثروا منها فيستوجبوا العقوبة، وهو من المجاز لأن المُعتَنى بإصلاح شأن الرجل إذا يئس من صلاحه تركه، واستراح من معاناة النصب معه، ويجوز أن يكون من قولهم: تودَّعتُ الشىء إذا صُنته فى مِيدَع، يعنى: قد صاروا بحيث يتحفظ منهم، ويتوقون، كما يُتوقَّى شرار الناس، انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤/ ٢٠١.

(٤) الحديث أخرجه أحمد فى: المسند (١٩ / ١٧٥، ١٧٦ الفتح الربَّانى) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا بهذا اللفظ، وأورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد: كتاب الفتن: باب وجوب إنكار المنكر ٧/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ، وقال: «رواه أحمد والبزَّار، والطبرانى، وأحد أسانيد البزار رجاله رجال الصحيح، وكذا إسناد أحمد، إلا أنَّه وقع فيه فى الأصل غلط»، بيد أن الساعاتى عقَّب على الهيثمى فى: بلوغ الأمانى ١٩/ ١٧٦ بقوله: الغلط الذى أشار إليه : الحسن بن عمرو ـ كما جاء فى النسخة التى وقعت ـ: حدثنا الحسن عن عمرو، والصواب: حدثنا الحسن بن عمرو، كما جاء فى نسختنا، وأورده المنذرى فى: الترغيب والترهيب، وقال: «رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وأقرَّه الذهبى»، وأورده السيوطى فى: الجامع الصغير، وعزاه للإمام أحمد، والطبرانى فى الكبير، والحاكم، والبيهقى فى شعب الإيمان».

قلة من ماء، فمرَّتْ بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفها، ثم دفعها فخرَّت على ركبتيها، فانكسرت قلتها، فلما ارتفعتْ التفتتْ إليه، فقالت: سوف تعلم يا غُدَر إذا وضع الله الكرسيَّ ، وجمع الأولين، والآخرين، وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدًا، فقال رسول الله ﷺ: «صدقتْ، صدقتْ، كيف يقدِّسُ الله أمَّةً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم » (١) .

ورغم هذا فالإسلام لا يمنع الناس أن يدينوا بدين آخر بشرط عدم الدعوة إليه بوسيلة أو بأخرى، قال تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى : ﴿ لكم دينكم ولى دين ۝٦ ﴾ [الكافرون] .

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٩٩﴾ [يونس] .

فإن أصروا على الدعوة إلى كفرهم وباطلهم فلابد من مدافعتهم يعنى كبتهم لئلا تتحول الأرض إلى بؤرة من الشرِّ والفساد، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ﴾ [الحج] .

وإذا كان هذا هو موقف الإسلام من كبت الشعوب لتختفى الفضيلة، وتنتشر الرذيلة، فإن الموقف لا يختلف كثيرًا عن كبت الأفراد، إذ الشعوب هى مجموع الأفراد وما يشعر به الفرد يظهر صداه فى الشعب .

وفى ضوء ما تقدم يمكن فهم قوله تعالى : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ۝١٢٧ ﴾ [آل عمران].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا : « وأما قوله : ﴿ أَوْ يَكْبِتَهُمْ ﴾ فقد فسروه بأقوال ، منها: أن معناه يخزيهم، ومنها: أن معناه يصرعهم لوجوههم، وفى الأساس: كبت الله

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن: كتاب الفتن : باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٢ / ١٣٢٩ برقم (٤٠١٠) من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر مرفوعًا . وأورده الشهاب البوصيرى فى: مصباح الزجاجة برقم (١٤١٠) وعقب عليه قائلا : « إسناده حسن ، وسعيد بن سويد مختلف فيه » .

عدوَّه، أكبَّه، وأهلكه ، ولكن صاحب الأساس فسَّر الكلمة فى الكشاف بقوله : «ليخزيهم، ويغيظهم بالهزيمة»، وقال الراغب: الكبت الرد بعنف وتذليل . وقال البيضاوى: أو يخزيهم، والكبت شدة الغيظ، أو وهن يقع فى القلب، وكل هذه المعانى وردت فى كتب اللغة، وصرح البيضاوى بأن «أو» هنا للتنويع لا للترديد، والمعنى: أنه يقطع طرفًا، وطائفة، ويكبت: طائفة أخرى، أى : ويتوب على طائفة، ويعذب طائفة كما فى الآية الآتية » [١] .

كما يمكن فهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ ﴾ [المجادلة] .

يقول ابن عطية ـ رحمه الله : « هذه الآية نزلت فى المنافقين ، وقوم من اليهود وكانوا فى المدينة يتمرسون برسول الله ﷺ «يحتكون به»، ويتربصون بهم الدوائر، ويديرون عليهم، ويتمنون فيهم المكروه، ويتناجون بذلك فنزلتْ : ﴿ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ : وهم منافقو الأمة الماضية الذين حادُّوا الرسل عليهم الصلاة والسلام قديمًا فليس هؤلاء المنافقون بأعذر من المتقدمين » [٢] .

ثالثًا : أسباب الكبت وبواعثه :

وللكبت أسباب توقع فيه، وبواعث تدعو إليه، نذكر منها :

١ ـ حرمان المرء حقه من التعبير عن رأيه بصراحة ووضوح منذ الصغر:

ذلك أن المرء إذا شبَّ محرومًا من التعبير عن رأيه بصراحة ووضوح صعب عليه إعلان ذلك عندما يشب عن الطوق إذ مَنْ نشأ على شىء شاب عليه إلا أن تتداركه رحمة الله ـ عزَّ وجلَّ .

ولذا كان من أسس التربية : إعطاء الصغير حرية التعبير عمَّا عنده بصراحة ووضوح مع تقويم وتهذيب ما يمكن أن ينطوى عليه ذلك من خلل أو عوج.

٢ ـ الخوف من الوقوع فى الخطأ لمرض ونحوه مع عدم استيعاب المحيطين بالمرء لذلك فيسخرون منه ويستهزئون :

ذلك أن المرء قد يكون مصابًا ببعض عيوب النطق أو لم يدرَّب على الحديث مع الآخرين منذ الصغر، وحينئذ لا يحب أن يبدى رأيه فى شىء خوفًا من الوقوع فى الخطأ، والمحيطون به لا يستوعبون ذلك فينالون منه بسخرية أو استهزاء أو نحو ذلك.

---

(١) انظر : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ٤ / ١١٧ .

(٢) انظر : المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ١٤ / ٣٤١ ـ ٣٤٢ .

ومن هنا لزم الانتباه للصغير بحيث إذا ظهرتْ به بعض الأمراض لاسيما أمراض النطق أن يعالج بسرعة، وكذلك ينبغى تعويده وتدريبه على لقاء الآخرين، والحديث معهم بحيث يزول حاجز الخوف والرهبة، وتكون الجرأة والشجاعة فى التعبير عن الرأى، وإتيان السلوك الحميد.

٣ ـ عدم تقدير رأى الآخرين والانتفاع به :

ذلك أن عدم تقدير رأى الآخرين ، والانتفاع به كما يفعله ذوو المسؤولية، وصنَّاع القرار فى بلادنا العربية والإسلامية مع أصحاب الآراء الحرَّة النزيهة النافعة من الإهمال والإهدار، بل السخرية والاستهزاء ، مما يكون سببًا فى الوقوع فى الكبت، والاصطلاء بناره.

ومثل ذلك يمكن أن ينطبق على الأبوين مع صغارهما، والأصحاب مع بعضهم البعض. . وهكذا.

٤ ـ ضغط العادات والتقاليد الباطلة مع الحرص على الاستمساك بالعادات والسلوكيات التى جاء بها الشرع الحنيف:

ذلك أن ضغط العادات والتقاليد الباطلة مع الحرص على الاستمساك بالعادات والسلوكيات التى جاء بها الشرع الحنيف، مما يصيب المرء بالكبت، لاسيما إذا كان عوده لا يزال غضًا طريًا لم يكتسب حصانة ولا مقاومة ضد باطل هذه العادات والتقاليد.

وهذا واضح فى عصرنا الذى كثر فيه الخبث، وانتشرت فيه الفتن، وصار أهل الفضيلة فيه أندر من الكبريت الأحمر، أو حبات اللؤلؤ المتناثرة فى صحراء مترامية الأطراف.

٥ ـ تقديم فاقد الأهلية أو الضعيف على ذى الكفاية مع عدم القدرة على التعبير:

ذلك أن تقديم فاقد الأهلية أو الضعيف على ذى الكفاية مع عدم القدرة على التعبير مما يصيب المرء بالإحباط والكبت ليس حقدًا أو حسدًا، وإنما لحرمان الأمة من طاقات وإمكانات ذوى الكفاية من أبنائها، وإيقاعها فيما لا تحمد عقباه بواسطة فاقدى الأهلية أو الضعفاء.

٦ ـ العبث بالقيم العليا والمبادئ السامية مع عدم القدرة على التعبير:

ذلك أن العبث بالقيم العليا، والمبادئ السامية كالنيل من الذات الإلهية، وإهانة الأنبياء والمرسلين والملائكة، والعدوان على القرآن، والسخرية من اليوم الآخر، وتحقير

الفضيلة، ونحو ذلك مع عدم القدرة على التغيير.. ذلك كله قد يورث الكبت والقهر والعياذ بالله، والواقع الذى تعيشه الأمة المسلمة اليوم سواء فى بلاد العرب أم فى غيرها من البلدان، والقائم على تسليط وسائل الإعلام، ودور التربية والتعليم للنيل من الإسلام وأهله هو الذى صنع ظاهرة الكبت والقهر التى شاعتْ وانتشرتْ فى ربوع الأمة لاسيَّما بين الشباب، وأثمرتْ هذه الثمار المرة التى سيأتى الحديث عنها فى آثار وعواقب الكبت.

٧ ـ اختلال معايير تقييم الناس :

ذلك أن معيار تقييم الناس الثابت الذى لا يتغيَّر أبدًا من قديم : إنما هو التقوى التى مبناها الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، ثم العمل الصالح، وقد ينسى الناس لسببٍ أو لآخر ذلك، وتنشأ معايير أخرى لتقييم الناس من: المال، والجاه، والنسب، والعشيرة.. ونحوها، وكلها معايير يدخل فيها الهوى، ويغطيها الخداع بحيث يحترم الضعيف الذى لا يحسن شيئًا، سوى أنه من الأثرياء، أو من عائلة، أو صاحب مركز ومنصب، ويُهان ذو الكفاية والنباهة، وحينئذٍ لا يجد هؤلاء الأقوياء أصحاب الكفاية والنباهة من ملجأ سوى كبت ما لديهم من خير مع شدة الحسرة والحزن.

٨ ـ خلو الحياة من الصديق الصادق الوفىِّ :

ذلك أن شخصية المرء إنما تنضج وتكتمل من خلال الصديق الصادق الوفى الملتزم بمبادئ الشرع الحنيف، وقد يحدث ـ لكثرة الخبث ـ أن تخلو الحياة من هذا الصديق الصادق الوفىِّ الذى يفضى إليه المرء بهمومه، ومكنونات نفسه كى يشاركه فى حمل ذلك، وحينئذٍ لا يكون أمامه سوى الكبت والقهر، ولذا رأينا موسى يطلب من ربه حين كلَّفه الذهاب إلى فرعون ليردَّه عن طغيانه يطلب من ربه الإعانة بأخيه هارون قائلا : ﴿وَاجْعَل لِّى وَزِيراً مِّنْ أَهْلِى (٢٩) هَرُونَ أَخِى (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى (٣٢) كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً (٣٥)﴾ [طه] .

٩ ـ سوء المعاملة المتمثل فى السخرية والسب والتعذيب ونحو ذلك :

وقد يكون سوء المعاملة المتمثل فى السخرية، والسَّبِّ، والسجن، والتعذيب، والتنكيل بالأهل والأقارب، ونحو ذلك على نحو ما تصنعه كثير من الحكومات العربية والإسلامية بأبنائها ممَّن يستمسكون بالفضيلة، ويرفضون الرذيلة، ويرضون بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًا ورسولا، بدعوى الإرهاب والتطرف، حتى حاول

نفر من هؤلاء الذين لم يتحملوا سوء المعاملة هذه الظهور بمظهر المتحللين من كل قيمة فاضلة أو خُلق سامٍ ، فتراه يرتاد أماكن اللهو والفجور، وإن لم يمارس فيها شيئًا أو يعلق فى بيته صورًا خليعة ماجنة، كل هذا ليبعد عنه تهمة أنه مسلم متطرف أو أصولى، وما هذا كله سوى الكبت والقهر، وقديمًا اضطر عمار بن ياسر أن يخفى إسلامه تحت وطأة التعذيب لعدم تحمله، ويجيب المشركين إلى ما طلبوا، وجاء بعدها يشكو إلى النبى ﷺ الهلاك، وسأله النبى ﷺ : «كيف تجد قلبك ؟». قال: أجده مطمئنًا بالإيمان. قال: « إن عادوا فَعُدْ »، ونزل قول الله عز وجل : ﴿ **مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** (١٠٦) ﴾ [النحل] .

١٠ ـ ضعف الإيمان :

وقد يكون ضعف الإيمان هو السبب فى الكبت والقهر، ذلك أن ضعيف الإيمان إذا نزلت به شدة أو محنة ولم يُحسن التصرف فيها أصابه الهلع والجزع، وكان الكبت والقهر، بينما أقوياء الإيمان يقدرون أنَّ الأمر محض ابتلاء من الله ـ عز وجل ـ وعليهم الرضا والتسليم، واستئناف المسيرة ليبدل الله حالهم من ذل إلى عز، ومن هوان إلى رفعة، ومن محنة إلى منحة . . وهكذا.

١١ ـ عدم تقدير عواقب الكبت :

وقد يكون عدم تقدير عواقب الكبت من بين الأسباب التى توقع فيه، ذلك أن من جهل العواقب الضارة، والآثار المهلكة لأمر مَّا وقع فيه دون أن يشعر، لذا وجب التفكير فى عواقب أىِّ أمر وآثاره قبل الإقدام عليه.

رابعًا : العواقب والآثار المترتبة على الكبت :

وللكبت عواقب ضارة، وآثار مهلكة سواء على العاملين أم على العمل الإسلامى، ودونك هذه الآثار وتلك العواقب:

أ ـ على العاملين :

وهى كثيرة نذكر منها :

١ ـ اضطراب الأعصاب :

ذلك أن الكبت نوع من الضغط على الأعصاب، الأمر الذى ينتهى إلى انحراف

السلوك، وعدم السَّداد فى الرأى، بل عدم القدرة على التكيُّف الاجتماعى، ومَنْ يتابع التدرج التاريخى لمقترفى الجرائم يجد أن نسبة عالية منها مردها إلى الكبت والقهر.

٢ ـ عدم الرحمة أو الشفقة على الغير حين يصير أمره بيده :

ذلك أن الذى عانى الكبت يشعر أنَّه لم يحظ بشىء من الرحمة أو الشفقة، وبالتالى يحاول أن يشفى غليله، وأن يُنَفِّس عن غيظه وحقده بعدم الرحمة والشفقة على الآخرين حين يصير مسؤولا عنهم، وكأنه يرى أن ذلك نوع من الثأر أو القصاص، ومَنْ ينقب فى حياة المستبدين أو المتسلطين أو الطغاة يجدها فى الأعم الأغلب مبناها الكبت والقهر فى مرحلة من مراحلها.

٣ ـ الانتقام الشديد ممَّن كان سببًا فى الكبت حين تُتاح الفرصة :

وموقف بلال من أميَّة بن خلف يوم بدر ذلك الذى كان يتفنَّن فى تعذيبه وكبته وقهره فى مكة خير شاهد على ذلك، إذ يقول عبد الرحمن بن عوف:

« كاتبتُ أميَّة بن خلف كتابًا بأن يحفظنى فى صاغيتى بمكة، وأحفظه فى صاغيته بالمدينة، فلما ذكرتُ « الرحمن » قال: لا أعرف الرحمن، كاتبنى باسمك الذى كان فى الجاهلية فكاتَبتُه: عبد عمرو، فلما كان فى يوم بدر خرجتُ إلى جبل لأحرزه حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال : أميَّة بن خلف، لا نجوتُ إن نجا أميَّة، فخرج معه فريق من الأنصار فى آثارنا، فلما خشيتُ أن يلحقونا خلفتُ لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه، ثم أبَوا حتى يتبعونا ـ وكان رجلا ثقيلا ـ فلما أدركونا قلتُ له: ابرك، فبرك، فألقيتُ عليه نفسى لأمنعه فتخلَّلوه بالسيوف من تحتى حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه، وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر فى ظهر قدمه [(١)].

٤ ـ العزلة والانقطاع عن الناس أو ما يسمَّى بالاكتئاب :

وقد لا تتاح الفرصة للمكبوت أو المقهور أن يبدى ما بداخله ، فيترجم ذلك إلى عزلة وانقطاع، أو ما يُعرف بالاكتئاب، وبذلك تخسر الأمة طاقات وإمكانات كان بمقدورها الإسهام فى دفع مسيرة الأمة إلى الأمام، ورفع رايتها خفاقة فى العالمين.

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الوكالة : باب إذا وكَّل المسلم حربيًا فى دار الحرب، أو فى دار الإسلام جاز ٣/ ١٢٩، وكتاب المغازى: باب قتل أبى جهل ٥/ ٩٦ من حديث عبد الرحمن بن عوف بهذا اللفظ، ومختصرًا .

٥ ـ النفاق ، أو إظهار خلاف ما يبطن :

وقد ينتهى الكبت والقهر بصاحبه إلى النِّفاق أو إظهار خلاف ما يُبطن اتقاء أذى الجبارين والمتسلطين، أو المستبدين، فإن صاحب المسؤولية إذا ابتغى الريبة فيمن تحت سلطانه أفسدهم.

٦ ـ الحقد على الآخرين :

وقد تكون عاقبته كذلك: الحقد على الآخرين خصوصًا إذا استمر هذا الكبت أو القهر دون تنفيس أو تفريج، ويوم تنتشر الأحقاد بين الناس فقد تودع منهم، وصارت الأبـواب مفتوحة أمام الأعداء للنيل من حريتهم وكرامتهم.

ب ـ على العمل الإسلامى :

ومن آثار الكبت على العمل الإسلامى :

١ ـ حرمان المجتمع من خيرة طاقاته وإمكاناته :

إذ ما يصيب الأفراد ينعكس على المجتمع، وتكون النتيجة حرمان هذا المجتمع من خيرة طاقاته وإمكاناته، الأمر الذى يؤدى إلى طول الطريق مع كثرة التكاليف.

٢ ـ انتشار الجريمة :

وقد يؤدى الكبت إلى انتشار الجريمة بين ربوع المجتمع فيغيب الأمن والأمان، ويتأخر هذا المجتمع ، فتعظم التكاليف كذلك وتطول الطريق.

٣ ـ الفرقة والشتات :

وأخيرًا تكون الكراهية بين أبناء المجتمع، وتكون الفُرقة والشتات، الأمر الذى يُطمع الأعداء، ويدفعهم إلى النيل من كرامة وعزة الأمـة.

خامسًا : علاج الكبت والوقاية منه :

يمكن علاج الكبت والوقاية منه على ضوء ما تقدم باتباع هذه الخطوات:

١ ـ تعريف المرء رسالته فى الأرض ومعوِّقات الطريق وسبيل النجاة :

ذلك أن الإنسان إذا عرف رسالته فى الأرض، ووقف على معوِّقات الطريق، وسبيل النجاة، وتجاوز هذه العقبات انطلق يؤدى هذه الرسالة غير مبال بما يلحقه من

obeikandl.com

أذىً أو شدة، بل إنه ليحتسب ذلك كله عند الله، فأين الكبت إذن والقهر، وصفحات تاريخنا كلها إشراقةٌ وبهاء فى هذا المعنى.

تروى عائشة رضي الله عنها فتقول : « لما اجتمع أصحاب النبى ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألحَّ أبو بكر على النبى ﷺ فى الظهور، فقال: «يا أبا بكر، إنا قليل» فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ، وتفرَّق المسلمون فى نواحى المسجد، كل رجل فى عشيرته، وقام أبو بكر فى الناس خطيبًا، ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ، وثار المشركون على أبى بكر، وعلى المسلمين، فضُربوا فى نواحى المسجد ضربًا شديدًا، وَوطِئ أبو بكر، وضُرِب ضربًا شديدًا، ودنا منه الفاسق عُتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين، ويحرِّفهما لوجهه، ونزا على بطن أبى بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه.

وجاء بنو تيم يتعادون فأجلتْ المشركين عن أبى بكر، وحملتْ بنو تيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون فى موته، ثم رجعتْ بنو تيم، فدخلوا المسجد، وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبى بكر، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فمسُّوا منه بألسنتهم، وعذلوه، ثم قاموا، وقالوا لأمِّه أم الخير: انظرى أن تطعميه شيئًا أو تسقيه إياه، فلما خلَتْ به ألحَّت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالتْ: والله ما لى علم بصاحبك، فقال: اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه.

فخرجتْ حتى جاءت أم جميل، فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد ابن عبد الله؟ فقالتْ: ما أعرف أبا بكر، ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ؟ قالت : نعم، فمضيتْ معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دنفًا، فدنت أم جميل وأعلنتْ بالصياح، وقالت: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسوق وكفر، وإنِّى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع. قال: فلا شىء عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: فأين هو؟ قالت: فى دار ابن الأرقم، قال: فإن لله علىَّ ألا أذوق طعامًا، ولا أشرب شرابًا أو آتى رسول الله ﷺ.

فأمهلتا حتى إذا هدأتْ الرِّجْل، وسكن الناس، خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، قال: فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ فقبَّله، وأكب عليه

المسلمون، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقَّة شديدة، فقال أبو بكر: بأبى وأمى يا رسول الله ليس بى بأس إلا ما نال الفاسق من وجهى، وهذه أمِّى برَّةٌ بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار، قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت، وأقاموا مع رسول الله ﷺ فى الدار شهرًا ـ وهم تسعة وثلاثون رجلا ـ وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضُرِبَ أبو بكر » [١] .

ولما أسلم أبو ذر الغفارى قال له النبى ﷺ : « ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى ».

فقال: والذى بعثك بالحق لأصرخنَّ بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم قام فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكبَّ عليه قال: ويلكم ألستم تعلمون أنه مِنْ غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام، فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه، وثاروا إليه، فأكب العباس عليه. . .الحديث [٢] .

والنماذج من حياة الصحابة أكثر من أن تحصى، ومثل ذلك وقع فى عصر المُلك الجبرى الذى تعيشه الأمة المسلمة اليوم، فقد وقف أبناء الحركة الإسلامية فى وجه الطغيان ومحاولة فرض المناهج الشيوعية، والصليبية، والصهيونية، والعلمانية، والبعثية، والطائفية، ونحوها، وتحملوا ومازالوا يتحملون فى ذلك الشىء الكثير رافضين أن يكونوا أسرى الكبت والقهر، ومحتسبين كل ما يصيبهم فى ذات الله، موقنين أن هذه طريق أصحاب الدعوات: شدائد، وامتحانات، وتعذيب، وتنكيل، ثم يكون النصر والتمكين، والأمن والأمان.

٢ ـ التنشئة على إبداء الرأى وتقويمه بحكمة إن كان خاطئًا :

عن سهل قال: مرَّ رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون فى هذا ؟» قالوا: حريٌّ إن خطب أن يُنْكَح، وإن شفع أن يُشفَّع، وإن قال أن يُستمع، قال : ثم سكت، فمرَّ رجلٌ من فقراء المسلمين، فقال: «ما تقولون فى هذا ؟ » قالوا : حريٌّ إن

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٣٠ ـ ٣١ .

(٢) الحديث قطعة من حديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب مناقب الأنصار: باب إسلام أبى ذرٍّ رضي الله عنه ٥ / ٥٩ ـ ٦٠، ومسلم فى : الصحيح : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أبى ذرٍّ رضي الله عنه ٤/ ١٩٢٣ ـ ١٩٢٥ رقم (٢٤٧٤ / ١٣٣) كلاهما من حديث ابن عباس مرفوعًا به .

خطب ألا يُنْكَح ، وإن شفع ألا يُشفَّع ، وإن قال ألا يُستمع، فقال رسول الله ﷺ : «هذا خيرٌ من ملء الأرض من مثل هذا » (١) .

وعن خنساء بنت خدام الأنصارية: أن أباها زوَّجها، وهى ثيِّب، فكرهتْ ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها (٢) .

وكان ﷺ يشاور أصحابه فيما لا نصَّ فيه نزولا على قوله سبحانه : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، وتشجيعًا لهم على إبداء الرأى واحترامه، وتقويمه بحكمة إن كان به شىء من الخلل، وكذلك فعل الأئمة من بعده ﷺ إلى وقت قريب جدًا.

عن الحسن قال : « ما تشاور قوم قط بينهم إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم»، وفى لفظ « إلا عزم الله لهم بالرشد أو بالذى ينفع » (٣) .

وعنه أيضًا قال : « قد علم أنه ما به إليهم حاجةٌ ، ولكن أراد أن يستنَّ به مَنْ بعده » (٤) .

وقال الشافعى : « إنما يؤمر الحاكم بالمشورة لكون المشير ينبِّهه على ما يغفل عنه، ويدلُّه على ما لا يستحضره من الدليل لا ليقلِّد المشير فيما يقوله، فإن الله لم يجعل هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ ، وقد ورد من استشارة الأئمة بعد النبى ﷺ أخبار كثيرة منها: مشاورة أبى بكر رضي الله عنه فى قتال أهل الردة،وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته، واستشارة عثمان بن عفان رضي الله عنه الصحابة فى جمع الناس على مصحف واحد . . وهلم جرا » (٥) .

---

(١) الحديث أخرجه البخارىُّ فى : الصحيح : كتاب النكاح: باب الأكفاء فى الدين ٧/ ٩ ـ ١٠، وكتاب الرِّقاق: باب فضل الفقر ٨/ ١١٨ ـ ١١٩، وابن ماجه فى : السنن: كتاب الزهد: باب فضل الفقراء ٢/ ١٣٧٩ ـ ١٣٨٠ رقم ٤١٢٠ كلاهما من حديث سهل بن سعد السَّاعدى مرفوعًا واللفظ للبخارى.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب النكاح: باب إذا زوَّج ابنته وهى كارهة فنكاحه مردود ٧/ ٢٣ من حديث عبد الرحمن، ومجمِّع ابنى يزيد بن جارية عن خنساء بنت خدام الأنصارية مرفوعًا بهذا اللفظ.

(٣) الحديث أورده ابن حجر فى: فتح البارى ١٣/ ٣٤٠ وعزاه إلى البخارى فى الأدب المفرد، وابن أبى حاتم قائلا: «أخرج البخارى فى الأدب المفرد: وابن أبى حاتم بسندى قوىٍّ عن الحسن قال: «ما تشاور قوم قطُّ بينهم إلا هداهم الله. . . »الحديث .

(٤) الحديث أورده ابن حجر فى : فتح البارى ١٣/ ٣٤٠ وعزاه إلى ابن أبى حاتم قائلا : « وأخرج ابن أبى حاتم بسند حسن عن الحسن قال: « قد علم أنه ما به إليهم حاجة. . . » الحديث.

(٥) انظر : فتح البارى ١٣ / ٣٤٢ ـ ٣٤٣ بتصرف كثير.

٣ ـ احترام آراء الآخرين ومحاولة توظيف هذه الآراء إن كانت نافعة :

هذا عبد الله بن الزبير بن العوام يأتى النبى ﷺ ـ كما تقول أمُّـهُ أسماء ـ بعد سبع سنين ليبايع النبى ﷺ وقد أمره بذلك أبوه الزبير، فتبسَّم النبى ﷺ حين رآه مقبلا، ثم بايعه [١] .

وهذا عمر بن الخطاب يدعوه رسول الله ﷺ ليبعثه برسالته إلى أهل مكة يوم الحديبية يخبرهم بمقصده، وأنه لا يريد الحرب، وإنما يريد بيت الله الحرام للعمـرة، فيبدى عمر رأيه فى هذه المهمَّة قائلا: « يا رسول الله ، إنى أخاف قريشًا على نفسى وليس بها من بنى عدىٍّ أحد يمنعنى، وقد عرفتْ قريش عداوتى إياها، وغلظتى عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعزُّ منى: عثمان ابن عفَّـان»، واحترم النبى ﷺ رأيه، فدعا عثمان فبعثه برسالته إلى قريش.

ولما انتهى عقد الصلح بين النبى ﷺ وبين سهيل بن عمرو ـ ممثل قريش فى الحديبية ـ قام رسول الله ﷺ فقال: « يا أيها الناس انحروا، واحلقوا »، قال: فما قام أحد، قال : ثم عاد بمثلها، فما قام رجل، حتى عاد بمثلها فما قام رجل، فرجع رسول الله ﷺ فدخل على أمِّ سلمة، فقال: « يا أمَّ سلمة، ما شأن الناس؟ » قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمنَّ منهم إنسانًا، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق، فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحدًا حتى أتى هديه فنحره، ثم جلس فحلق، فقام الناس ينحرون،ويحلقون. . . الحديث [٢] .

إلى غير ذلك من الصور الدالة على احترامه ﷺ آراء الآخرين ، ومحاولة توظيف هذه الآراء إن كانت نافعة، وهكذا ينبغى اتباع هذا المنهج فى علاج الكبت بل توقيـه.

---

(١) الحديث قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الآداب: باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله ٣/ ١٦٩٠ ـ ١٦٩١ رقم (٢١٤٦ / ٢٥)، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبى ٣/ ٣٦٥ .

(٢) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه أحمد فى : المسند ٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٦ من حديث المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم قالا: « خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا، وساق معه الهدى سبعين بدنة. . .» الحديث، وابن هشام فى: السيرة النبوية ٣/ ٣٠٨، وعنهما نقل الدكتور أكرم ضياء العمرى فى: السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٤٣٩ ـ ٤٤٦ بتصرف كثير.

٤ ـ السماح للقيم العليا، والمبادئ السامية أن تسود :

ذلك أن السَّماح للقيم العليا، والمبادئ السامية أن تسود، من شأنه أن يقضى على القيم الهابطة والمبادئ الساقطة، أو على الأقل يحاصرهما ويحصرهما فى دائرة ضيِّقة، فيزول بهذا سبب أساسى من أسباب الكبت والقهر من منطلق أن القيم العليا، والمبادئ السامية استجابة لنداء الفطرة، وإذا استجيب لنداء الفطرة كان الأمن والأمان والسكينة والطمأنينة، والعكس بالعكس.

وما غاية الجهاد فى ديننا الحنيف، بل فى رسالات الأنبياء والمرسلين جميعًا سوى إفساح المجال أمام القيم العليا والمبادئ السامية أن تأخذ طريقها إلى عقول الناس وقلوبهم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ [البقرة : ٢٥١]

وإذ يقول : ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً ﴾ [الحج : ٤٠] .

وصدق النبى ﷺ إذ يقول : «مَثَلُ القائم على حدود الله والواقع فيها كَمَثَلِ قومٍ استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مَرُّوا على مَنْ فوقهم، فقالوا : لو أنَّا خرقنا فى نصيبنا خرقًا، ولم نؤذ مَنْ فوقنا ؟ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوا ونَجَوا جميعًا » [(١)] .

٥ ـ حُسن المعاملة للغير ولو كان مخطئًا :

ذلك أن حسن معاملة الغير ـ ولو كان مخطئًا ـ تجعل العدو صديقًا، والبعيد قريبًا، وتقضى على الكبت والقهر ، أو تخفف من حدتهما ، وصدق الحق ـ تبارك وتعالى ـ فى قوله : ﴿ وَلا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) ﴾ [فصلت] .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الشركة: باب هل يقرع فى القسمة والاستهام فيه ٣/ ١٨٢، وكتاب الشهادات: باب القرعة فى المشكلات ٣/ ٢٧٣، والترمذى فى: السنن: كتاب الفتن: باب منه ٤/ ٤٠٨ رقم (٢١٧٣)، وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » ، وأحمد فى : المسند ٤/ ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤، كلهم من حديث النعمان بن بشير ﷺ مرفوعا. واللفظ للبخارى .

ومن حُسن المعاملة : الحوار الهادف الهادئ، والإصغاء للرأى الآخر، ومحاكمة الحجة بالحجة، والنزول على الحقِّ بغض النظر عمَّنْ هَدَى إليه، وأبرزه فى الناس، وفى كتاب الله وسنة النبى ﷺ وسيرته من الجدل والمحاورة ومقارعة الحجة بالحجة الشىء الكثير، وحسبنا هنا ما دار بين موسى وهارون وبين الطاغية الجبار الذى قال للناس : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ (٢٤)﴾ [النازعات] . وقال لهم أيضًا : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص : ٣٨]. وقال: ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)﴾ [غافر].

٦ ـ مراعاة المعايير الإلهية فى تقييم الناس، وإسناد المهام إليهم :

إذ بَيَّن ربُّ العزَّة فى كتابه الكريم معايير وموازين تقييم الناس بقوله: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]. وبقوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِى الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧)﴾ [سبأ].

كما بيَّن ذلك على لسان نبيه ﷺ ، عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : «إن ربكم واحد، وأباكم واحد، فلا فضل لعربى على أعجمى، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى » (١) .

وعن أبى ذر رضي الله عنه أنَّ النبى ﷺ قال له : « انظر فإنَّك لست بخير من أحمر، ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله » (٢) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبىَّ ﷺ سُئل: أى الناس أكرم؟ قال : «أكرمهم عند الله أتقاهم . . . » الحديث (٣) .

---

(١) الحديث أورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد: كتاب الأدب: باب لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ٨/ ٨٤، وعقَّب عليه بقوله: «رواه الطبرانى فى الأوسط، والبزَّار بنحوه إلا أنه قال: إن أباكم واحد، وإن دينكم واحد، أبوكم آدم، وآدم خُلِقَ من تراب، ورجال البزَّار رجال الصحيح».

(٢) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٥/ ١٥٨ بهذا اللفظ، وأورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد: كتاب الأدب: باب لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ٨/ ٨٤، وعزاه إلى أحمد قائلا: «رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن بكر بن عبد الله المزنى لم يسمع من أبى ذر».

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأنبياء: باب قول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ ٤/ ١٨٢، وكتاب التفسير: سورة يوسف: باب قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ ٦/ ٩٥ من حديث أبى هريرة مرفوعًا، ولفظه ـ كما فى الرواية الثانية ـ قال: سئل رسول الله ﷺ : أىُّ الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم» قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فأكرم الناس: يوسف نبى الله ابن نبىِّ الله ابن نبىِّ الله ابن خليل الله»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فعن معادن العرب تسألونى؟» قالوا: نعم، قال: «فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا»، وعقَّب عليه بقوله: « تابعه أبو أسامة عن عبيد الله ».

وبيَّنه أيضًا فى قول ابنة العبد الصالح لأبيها فى شأن موسى عليه السلام : ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ (٢٦)﴾ [القصص] .

وجملة هذه المعايير: الكفاية والتقوى، أو القوة والأمانة، ومراعاتهما فى تقييم الناس، وإسناد المهامِّ إليهم يقضى على الكبت والقهر، بل يحمى النفس أصلا من ذلك.

٧ ـ معايشة الصديق الصادق الوفىِّ :

ذلك أن معايشة الصديق الصادق الوفىِّ تقضى على الكبت أو القهر، بل تحمى النفس أصلا من الإصابة بهذا النوع من الآفات، إذ من خصائصها: المواساة التى منها حكاية ما يعانى منه المكبوت أو المقهور لصديقه وأسباب ذلك، ورسم طريق العلاج والوقاية، وقد صوَّر ذلك نبى الله موسى عليه السلام فى قوله لربه : ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي(٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥)﴾ [طه] .

كما صوره علقمة فى وصيته لولده بقوله : « يا بنىَّ، إذا عرضتْ لك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب مَنْ إذا خدمتَه صانَك، وإن صحبتَه زانَك، وإن قعدت بك مؤونة مانَكَ، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدَّها، وإن رأى منك حسنة عدَّها، وإن رأى سيئة سترها، اصحبْ مَنْ إذا سألته أعطاك، وإن سكتَّ عنه ابتداك، وإن نزلتْ بك نازلةٌ واساك، اصحب مَنْ إذا قلتَ صَدَّقَ قولك، وإن حاولتَ أمرًا آمرك، وإن تنازعتما آثرك » .

٨ ـ الإكثار من ذكر الله بمعناه العام الشمولى :

ويُعدُّ الإكثار من ذكر الله بمعناه العام الشمولى الجامع لذكر الله العقلى بالعلم والتفكر، والقلبى بالتعظيم لله، والحبِّ، واللسانى بالثناء عليه سبحانه بما هو أهله، والبدنى بتوظيف البدن فيما يرضيه سبحانه وتعالى، ثم دعوة الآخرين إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتى هى أحسن، فإن المواظبة على الذكر تفرغ النفس من كل كبت أو قهر، وتملؤها بالأمن والأمان والطمأنينة وسكينة النفس، وصدق الله الذى يقول : ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)﴾ [الرعد] . ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)﴾ [الأنعام] . ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ (١٥٢)﴾ [البقرة] .

على أن هذا الذكر من شأنه إلانة القلوب، وحمل النفس على العفو والصفح الجميل طمعًا فى الأجر من الله والمثوبة كما قال سبحانه : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى] .

وكما قال : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى] .

٩ ـ التذكير بعواقب الكبت :

ولعل التذكير المستمر بعواقب الكبت أو القهر على النحو الذى تقدم مما يعين على التخلص من هذا الداء أو هذه الآفة، بل الحماية والوقاية، إذ النفس من شأنها النسيان والغفلة والتذكير خير علاج لذلك، قال تعالى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات]. وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأعلى].

obeikandl.com